المُجرم علي دوبا رئيس المخابرات العسكرية



صورته وهو ينتخب المُجرم بشار الأسد

إعداد: فينيق ترجمة

https://ateismoespanarab.blogspot.com

31.05.2021

ما لا تعرفونه عن آل الاسد - العماد علي دوبا



المُجرم علي دوبا تحت السهم الأصفر

علي عيسى دوبا مواليد 1933 بقرية قرفيص في محافظة اللاذقية.

هو رئيس شعبة المخابرات العسكرية في سوريا سابقا، شغل هذا المنصب لسنوات عديدة، عرف عنه الحزم والصرامة في مجال عمل الاستخبارات السورية، وهو مؤسس جهاز الاستخبارات السورية الحديث. وكان الرجل الثاني في سوريا ورجل النظام القوي طيلة حكم حافظ الأسد والذي كان يتمتع بعلاقة قوية ومنقطعة النظير معه. لم يظهر أبدا على شاشات التلفزة ولا في الأماكن العامة.

نفذ علي دوبا المهمة الموكلة إليه بأمانة وحماس لافتين للنظر ولكن فيما بعد تبين أن انقلاب علي دوبا على رفعت الأسد كان انقلابا لحسابه ولمصلحته الشخصية أولا ولمصلحة حافظ الأسد ثانيا وهو ما اكتشفه الرئيس العجوز تأخرا فبدأ بتحجيم دولة علي دوبا إلى أن وافته المنية قبل أن ينجز هذه المهمة.

استطاع علي دوبا مستغلا الحرب ضد رفعت ورجاله من توطيد نفوذه بشكل غير مسبوق وخصوصا في الجيش والمخابرات وكان فرع 293 (شؤون الضباط) الذي كان يرأسه ابن اخته أحمد عبود وسيلته لذلك من تسريح ونقل وتعيين للضباط.

من جملة ما ورثه علي دوبا من رفعت الأسد البقاع اللبناني الذي واصل فيه زراعة وتجارة المخدرات إلا أن المنافس الآخر الذي لم يقض عليه تماما كانت له بقايا جيوب في هذا المجال عن طريق مافيا عبد الله أوجلان-جميل الأسد بتغطية مباشرة ودعم من اللواء غازي كنعان الذي تربطه علاقة مصاهرة مع جميل الأسد.

لذلك كان مجال المخدرات ليس المجال الذي يستطيع أن يلعب فيه بشكل جيد فكان لابد من مجال آخر وكان له ما أراد.

عملية مطار هيثرو

بعد عملية مطار هيثرو التي تبين أن محمد الخولي وراءها أواسط الثمانينات وجد علي دوبا فرصته بعد أن مورست بعض الضغوط الاقتصادية على سوريا نتيجة افتضاح الأمر فكان لا بد من تعميق تلك الأزمة الاقتصادية والبدء بأكبر حملة نهب منظم لأموال البلد.

جلب علي دوبا المرحوم محمود الزعبي رئيسا للوزراء بعد أن خاض حربا شعواء ضد عبد الرؤوف الكسم متهما إياه بأنه أنهك اقتصاد البلاد بمشروعه العبثي الجسر المتحلق الجنوبي وحمله مسؤولية انهيار الليرة السورية وتضخم الاقتصاد الوطني فكلف فرع المنطقة بتدبيج النكات على الكسم إلى أن اقاله.

كان الزعبي رجلا يمتثل للأوامر دون لون أو طعم فمنع استيراد معظم المواد التموينية بحجة التقشف ولسد النقص في ذلك كانت السوق اللبنانية جاهزة وهذه السوق كان قد وضع علي دوبا والمافيا التي كونها لأجل ذلك يده عليها.

كان علي دوبا وابن اخته وذراعه في الجيش والأمن أحمد عبود قد كونا جيدا هذه المافيا وأحكما السيطرة على طريق لبنان ووضعا رجالهما في هذا المحور من كافة صنوف الأمن فكان طالب أبو علي من الفرع الداخلي (امن الدولة) أحد أنسباء أحمد عبود رئيسا لفصيلة الزبداني المسؤولة عن طريق لبنان في جهاز أمن الدولة وكذلك أمر بالنسبة للشرطة العسكرية التي كان يرأسها أحد أبناء أخوال أحمد عبود.. فكان طريق لبنان طريقا لعلي دوبا بلا منازع وعن طريقه كان الدخان المهرب يصل إلى جميع المحافظات السورية والسمنة المهربة وحتى أزرار الكهرباء.. كان رجال مافيا علي دوبا قد أقاموا علاقات مع بعض التجار اللبنانيين والسوريين وكانوا يسهلون لهم بيع بضائعهم في جميع انحاء سوريا عن طريق سيارات المخابرات والجيش.

لقد احتكر علي دوبا ومافياه لمدة 6 أعوام جميع المواد الاستهلاكية والتموينية والكهربائية وجمع نتيجة لذلك ثروات هائلة تقدر بمليارات الليرات السورية ذهبت كلها إلى بنوك سويسرا وغيرها من الدول الأوروبية. هذا ناهيك عن فساد أجهزة المخابرات ودخول الرشوة إلى عالمها الذي كان يشكل مصدر دخل إضافي.

محمد دوبا

ومع ذلك بقي محمد دوبا النجل الأكبر لعلي دوبا مندوب العائلة في ثروة النفط إلى جانب باسل الأسد صديق عمره وكان يودع باسمه حصة والده من عائدات النفط. ومحمد دوبا هذا واحد من أغبى وأخرق خلق الله فبالاضافة إلى سوء الخلق والغباء كان لا يتورع عن ارتكاب أخس الأفعال

من سرقة وتشليح ونصب واحتيال على أتفه الأمور.. وكانت مهمة قافلة المرافقة التي تسير معه ليس حمايته من الاعتداءات بل حمله إلى بيته بعد أن تأخذه الخمرة أو المخدرات في غيبوبة.. وهذا الشخص هو الذي وضع المسمار الأول في نعش والده لدى حافظ الأسد.

بعد أن تعمقت جذور علي دوبا في جميع مرافق الحياة السورية كان حافظ الأسد شعر بنوع من الريبة والشك حيال الرجل رغم ثقة المطلقة فيه ولا ننسى أنه كان قد أوصى في عام 1980 عندما تعرض لمحاولة الاغتيال الشهيرة ضباطه بأخذ أوامرهم من علي دوبا.
الآن الوضع تغيير وبدأت القصص تصل إلى مسامع الأسد الأب عن نفوذ علي دوبا واستهتار ابنه محمد حتى بأبناء أخوة حافظ الأسد وثمة قصص كثيرة في هذا المجال منها أن محمد دوبا شتم أحد أبناء أخوة حافظ اسد أمام الناس وسخر من بيت الأسد.

الشعرة التي قصمت ظهر البعير

كانت الشعرة التي قصمت ظهر البعير هي تلك الحادثة التي قادها محمد دوبا وطالت الوريث السابق باسل الأسد والتي بدأت على إثرها مشوار بداية النهاية لعلي دوبا.

ذات مساء أرسل محمد دوبا أفراد عصابته إلى أكبر محل لبيع الساعات في سوريا أبو وطفة وطلب المرافقون من ابن صاحب المحل مجموعة من أثمن ساعات الرولكس. فسألهم لمن فقالوا له للقائد باسل.

صدق الرجل القصة وجمل معه مجموعة من أثمن الساعات وقال لهم أريد أن أسلمها بنفسي للقائد باسل فقالوا له كما تريد وركب معهم بالسيارة وأخذوه إلى قرى الأسد وهناك كان محمد دوبا بانتظاره فأخذ الساعات وتم تخدير الرجل وإلقاءه على طريق حمص فعثرت عليه الشرطة وروى لهم القصة فوصلت إلى القصر الجمهوري وتبين أن محمد دوبا وراءها فغضب الأسد أشد الغضب واعبرها طريقة مدروسة لتلويث سمعة ابنه الذي أعده بعناية وكلف طاقما ببث القصص عن مروءته ونزاهته ونظافة كفه.

لم يغفر الأسد لعلي دوبا ذلك خصوصا وأن علي دوبا نجح في تهريب ابنه إلى بريطانيا فانتظر عليه قليلا إلى أن أجهز على ابن أخته أحمد عبود بعد انفضاح أمر علاقته برجل الأعمال السوري المرتبط بالموساد والمافيا الاسرائيلية.

جرد حافظ الأسد علي دوبا من شؤون الضباط وألحقها بباسل الأسد واستمر التخلص من تركة علي دوبا أكثر من سبع سنوات دون أن ينتهي أو يستطيع وضع حد نهائي له إلى أن وافته المنية قبل أن ينجز هذه المهمة.



يسار الصورة : المجرم العماد المتقاعد الطائفي علي دوبا، الرئيس التاريخي لشعبة المخابرات العسكرية في عهد المقبور الملعون حافظ أسد، يمين الصورة : لص النفط و كازياته شقيقه الطائفي محمد دوبا، وسط الصورة : ابن الأخير اللص الطائفي المحامي أيمن محمد دوبا، و هو من نشر هذه الصورة النادرة.

نستذكر بهذه المناسبة شهادة المعتقل الصحفي رضا حداد, نعتذر عن الالفاظ البذيئة:

كان اللواء علي دوبا يلكمني ويركلني بقدميه.. وقال: والله يا كلب، يا ابن الشرموطة إذا ما اعترفت لأحضر زوجتك، ها الشرموطة وأعريها هون وأفعل فيها.. أصبت بدوار شديد وشعرت برغبة شديدة في تقيؤ كل محتوياتي في وجه هذا الوحش. غبت عن الوعي مرة أخرى.. وصحوت لأجد نفسي ممدداً على الأرض.. وقد ربطوا بأصابع يدي ورجلي سلكين كهربائين.. وبدأ التيار يسري في جسدي وأنا ممدد على أرض مبللة بالماء.. العميد بختيار يقف عند رأسي واللواء علي دوبا يجلس على كرسي. للحظات قليلة استطعت مشاهدته من خلال فرجة تحت عصبة العينين السوداء لأني كنت في وضعية استلقاء كاملة. كان يرتدي بنطالاً سكرياً حريرياً.. يضع رجلاً على رجل وفي فمه سيكار ضخم.. ويحمل في يده كأساً من الويسكي. هذا ما شاهدته حقاً وأنا أرتعد من سريان التيار الكهربائي في جسدي والألم يمزق كل خلية في جسمي وبشكل خاص دماغي. كانوا يقفون للحظات يعيدون السؤال.. ثم يسكبون الماء على جسدي، ويعودون لتمرير التيار الكهربائي .
يقول @Adnan Alsabbah Mikdad رفيق زنزانته:

كان رضا حداد على وشك الموت تحت التعذيب لولا أن تم نقله الى المشفى وقد اعادوه من المشفى الى غرفة التعذيب مباشرة وكانوا يطلبون منه أن يذكر اسمه فقط ...فلم يذكره أبدا ...ولم يعترف أمامهم بشيء . ذات يوم أخبرني أنه لم يعبر عن حبه لأبيه أبدا في حياته . قلت له: وماذا ستفعل قال لي سأخبره بذلك ..وفي يوم الزيارة ذهبت لأسلم على أهله فوجدت أباه يبكي بشدة ..سألته ما الأمر قال لي : أخبرته أنني أحبه كثيرا .

مقتطفات من شهادة نشرت بعدة لغات للشهيد الصحفي رضا حداد الذي أصيب بسرطان الدم . هذا المرض الذي أودى به بعد ثمانية أشهر من خروجه من السجن الذي قضى فيه خمسة عشر عاماً بين 1980 و1995 بتهمة مناهضة الثورة !!!

بشار الأسد وعلي دوبا: "انتهى الدرس يا غبي"!

نقل عنه قوله في مأتم عزاء لأحد كبار ضباط الطائفة العلوية الذي قتل في الحرب التي يخوضها بشار الأسد ضد الشعب السوري: "إن مقابر الأسر العلوية لم تعد تستوعب"، وفي رواية أخرى أنه همس بعدها: هذا الغبي – بشار الأسد- سيأخذنا إلى الجحيم"، ولكن بشار الأسد ردّ له الصاع صاعين عندما التقى بوفد الجنرالات المتقاعدين الذين اجتمع بهم بعد أشهر من اندلاع الثورة، يومها قال علي دوبا: لا يمكن بهذه الطريقة التي تدار بها الأمور أن ننهي المشكلة أو أن ننتصر، فرد بشار بحدة قبل أن ينهي اللقاء على طريقة انتهى الدرس يا غبي: أستغرب في ظل هذا الحجم من "الغباء" كيف أبقاك أبي في منصبك كل تلك الفترة؟!

هو رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية في سورية سابقاً شغل هذا المنصب عشرات السنوات قبل إقالته في 01.01.2000، وقيل وقتذاك إن حافظ الأسد احتاج الى سنوات طوال لكي يتمكن من دحرجته رويداً رويداً وإزاحته من منصبه. عرف عنه الحزم والصرامة وهو مؤسس جهاز الاستخبارات العسكرية الحديث وكان الرجل الثاني في سوريا ورجل النظام القوي طيلة حكم حافظ الأسد، ولأنه لم يظهر أبداً على شاشات التلفزة ولا في الأماكن العامة اضطر الكاتب البريطاني باتريك سيل في كتابه "الصراع على الشرق الأوسط" الى وصفه بـ"رجل طويل أبيض اللون يشارك حافظ الأسد مزاجه الدعابي الساخر".

بنى علي دوبا منذ أواسط الثمانينات وحتى نهاية التسعينات دولة داخل دولة واتسع نفوذه بشكل فاق كل تصورات رأس النظام حافظ الأسد الذي اعتمد عليه في البداية لتحجيم دولة شقيقه رفعت الأسد والقضاء عليها على مراحل، ونفذ دوبا المهمة الموكلة إليه بأمانة وحماسة منقطعتي النظير، ولكن تبين لحافظ الأسد فيما بعد أن انقلاب علي دوبا على رفعت الأسد كان انقلاباً لحسابه ولمصلحته الشخصية أولاً، وهو ما اكتشفه متأخراً عندما علم بترشيح عز الدين ناصر رئيس اتحاد العمال ليخلفه خلال مرضه في مطلع الثمانينات بدلاً من ابنه باسل، فبدأ بتحجيم دولة علي دوبا، في حين بدأ باسل "يشتغل" على إنهاء عز الدين ناصر وأكمل بشار المهمة عندما أصبح رئيساً.

وحشية علي دوبا لم تكن موضع بحث أو تدقيق، واستثمر حافظ الأسد ذلك كي يدخل الرعب الى نفوس الأصدقاء قبل الأعداء ووصلت – وحشيته- الى حد انه كان يتولى بنفسه تأديب وجلد ابنه الكبير محمد في فرع التحقيق العسكري بعد كل عملية قذرة يرتكبها، حيث كان لا يتورع عن ارتكاب أخس الأعمال من سرقة وتشليح ونصب واحتيال على أتفه الأمور، وكانت مهمة قافلة المرافقة التي تسير معه ليس حمايته من الاعتداءات بل حمله الى بيته بعد أن يودي به تعاطيه للمخدرات الى حالة غيبوبة.

بعد أن أبرمت مؤسسة السكك الحديدية صفقة القاطرات مع ألمانيا استدعت شعبة الاستخبارات العسكرية المدير المالي في المؤسسة، وكان يديرها في ذلك الوقت غسان قدور ابن شقيقة العماد حكمت الشهابي رئيس الأركان، وبدأت بالتحقيق معه حول الصفقة، فأنكر الرجل علمه بوجود صفقة فاسدة وأصر على قوله رغم التعذيب الذي تعرض له خشية تعرضه للأذى من العماد حكمت، فطلب علي دوبا جلبه الى مكتبه وسأله: هل تعلم من أنا؟ قال الرجل: أبداً. فرد عليه: أنا علي دوبا وإذا لم تقل لي الآن وفوراً حجم عمولة القاطرات ومن قبضها سأقطعك بيدي أما إذا اعترفت فسوف أفرج عنك فوراً وأعيدك الى أهلك سالماً غانماً.. عندها قال المدير ودون تردد:

أخذها العماد حكمت الشهابي. وكل ما أراده علي دوبا وقتها هو أن "يعلّم" على العماد حكمت وأن يستخدم قصة الرشوة في الوقت المناسب إن اقتضى الأمر ذلك.

سيقتضي الأمر ذلك إذا تحدث العماد حكمت عن إمبراطورية النفط والمخدرات التي يديرها علي دوبا، وعن ناقلات النفط التي امتلكها وعن اختلاسات شقيقه محمد دوبا مدير شركة خطوط نقل النفط في بانياس، وعن مافيا النفط مع نزار الأسعد، وكان من جملة ما ورثه علي دوبا من رفعت الأسد البقاع اللبناني الذي واصل فيه زراعة وتجارة المخدرات إلا أن المنافس الآخر الذي لم يقض عليه تماماً -جميل الأسد- كانت له جيوب في هذا المجال عن طريق – مافيا عبدالله أوجلان زعيم منظمة الـpkk الكردية بتغطية مباشرة من اللواء غازي كنعان مسؤول الاستخبارات العسكرية السورية في لبنان الذي تربطه علاقة مصاهرة مع جميل الأسد.

وكان علي دوبا وذراعه في الأمن العميد أحمد عبود يديران عشرات الشقق المخصصة للعب القمار، وقد كونا مافيا المخدرات هذه وأحكما السيطرة على طريق لبنان ووضعا رجالهما في هذا المحور، أما محور حلب تركيا فكلف بإدارته العميد مصطفى التاجر رئيس الاستخبارات العسكرية في حلب، وعندما همس أحد مديري الأمن حول الدور المافيوي الذي يلعبه مصطفى التاجر قال حافظ الأسد إن الأمر لا يتعلق بفساد أو متاجرة بل هو لحماية الأمن القومي للبلاد؛ لأن عبدالله أوجلان ومنظمته يوفران لنا كل المعلومات الأمنية المتعلقة بتركيا مقابل السماح لهم بتجارة المخدرات والتسلل عبر الحدود، وكان من الواضح تماماً أن حصة حافظ الأسد من هذه التجارة تصله بانتظام.

علي دوبا الملوث من رأسه حتى أخمص قدميه بدماء السوريين لم يعترض خلال لقائه والجنرالات المتقاعدين مع بشار الأسد على الحل الأمني والعسكري الذي اعتمده لأنه ضد القتل، بل لأنه يعتقد أن بشار الأسد بغبائه هو من أوقد شعلة الثورة السورية وهو من يجعلها ملتهبة، وكان يمكن اعتماد أساليب أخرى لإجهاضها.

خلال تهيئة الرفاق لتقبل قرار إقالته روى حافظ الأسد في إحدى جلساته الخاصة حكايته مع إحدى عجائز قريته القرداحة عندما طلبت منه أن يتوسط مع علي دوبا من أجل تأمين وظيفة لابنها العاطل عن العمل فوعدها خيراً قبل أن يوجه بتعيينه.. أراد حافظ الأسد أن يقول في تلك الجلسة إن نفوذ علي دوبا في الدولة بات يتطلب قصقصة أجنحته، ولكن السبب الحقيقي هو أن حافظ الأسد كان يدرك تماماً أن تسليم العرش لابنه بشار كان يتطلب ترحيل كل طاقم الحرس القديم، بل كل من كان بشار يخاطبه بكلمة "عمو" من عبدالحليم خدام إلى علي دوبا مروراً ببقية الرفاق.

يوم حقّق معي علي دوبا - وائل السوّاح

الليلة الأولى بعد إطلاقي كانت أغرب ليلة في حياتي.. عشرات الأشخاص جاؤوا إلى بيت أخي سحبان للتهنئة: أصدقاء ومعارف وأناس أعرف أسماءهم وآخرون لا أعرفهم: شعراء وفنانون وممثلون وصحفيون، وأهم من ذلك نساء جميلات وحقيقيات. نساء تستطيع لمسهن وشم شذا الأريج المنسكب من أكفهن الصغيرة ومن خلف آذانهن وهن يقبلنك. نساء حقيقيات يختلفن عن أولئك اللواتي كنتَ تتخيلهن وتحلم بهن وتخلقهن لتختلق لحظات حميمة معهن. نساء من جسد وعبق وروح، وأصوات أنثوية كنت نسيتها منذ دهر، وأيد صغيرة وأقدام صغيرة وأصابع نحيلة، طويلة، تختلف عن الأيدي والأصابع التي كنت تراها ليل نهار في مهجعك اللعين. ثم صدور ناهدة وأخرى ضامرة تكن رعبا من الرغبة وكونا من الجنس. وليس آخرا تلك الموسيقى العذبة والهارموني المنبعث من أصواتهن، أصوات خافتة مزقزقة فرحة، لا تريد أن تقارنها بأصوات الذكور الذين عشت معهم أعواما عشرة: ذكور، ذكور، ذكور. إلى يمينك وإلى يسارك ومن خلفك ومن أمامك، في العشية وعند اليقظة. ذكور طبعوا كل حياتك بطابع ذكري مرعب، جعلوك تفر من نفسك وتعاستك وأحاسيسك المريضة إلى نفسك وتعاستك وأحاسيسك المريضة. ثم فجأة ترى نفسك محاطا بنساء حقيقيات من دم ونهود.

امتد الطريق بين الحدود اللبنانية ودمشق طويلا وثقيلا. نفس الطريق الذي غالبا ما كنت أُفتَن به حين أسافر إلى بيروت أو أعود منها بدا لي معاديا وأنا أجلس في المقعد الخلفي للسيارة بين رجلين ضخمين كانا يدخنان بشراهة.

عند مدخل دمشق، عصب أحد الرجلين عيني بما سأعرفه لاحقا باسم "الطميشة"، وهو اسم سأبدأ به معجما جديدا للمصطلحات في السجن، مثل العازل والبْلَوّ والقصعة والسخرة والبخشة. الطميشة قطعة من الكاوشوك الأسود، مصمّمة لحجب الرؤية لدى السجين لكيلا يرى وجه المحقّق أو الجلّاد. تشبه قناع زورو، ولكن من دون فتحتي الرؤية للعينين، حين تضعها سيمكنك فقط أن ترى موقع قدميك وتستطيع أن تتأمل أحيانا حذاء المحقّق حين يقترب منك ليصفعك. اسودّ الكون من حولي، كحالي حين تنقطع الكهرباء ليلا فيعمّ الظلام فجأة. أردت أن أحتجّ، ولكن الطريقة العنيفة التي وضع فيها الرجل الطميشة على عيني جعلتني أوثر السلامة. في الطريق من مدخل دمشق إلى حيث يأخذونني، كان سؤال واحد يلحّ علي: أخيرا؟ هل وقعت أخيرا؟ أيكون حالي كحال من سبقني من الرفاق: يوسف عبدلكي وعلي الكردي وجمال سعيد وهالة العبد الله؟ أأُعذّب كما عُذّبوا؟ أأُنسى كما نُسوا؟ أتكون هذه آخر عهدي بالحياة والشمس والهواء؟ بـ غادة وحنان وديانا؟ بـ جميل وعزام وجبرا وليلى ونجوى وبسام وفادية؟ بشقّة برج الروس التي شهدت أحلى سهراتنا؟ باجتماعات الرفاق والراية الحمراء والنقاشات حول طبيعة الثورة؟ بـ فاروق وبرهان وعلي الشهابي؟ بسينما الكندي والأمسيات الموسيقية وباخ وشوبان؟

كان خوفي أن أساق إلى فرع أمن الدولة في الخطيب، فيلقاني محمّد ناصيف وتركي علم الدين، اللذان كانا يتحرّقان للقائي. كان معظم الرفاق الذين اعتقلوا في السنوات السابقة يعترفون على الرفاق المطلوبين، لكيلا يكشفوا رفاقا آخرين ما زالوا مجهولين بالنسبة للأمن. وقد اعترف عليّ عشرات المعتقلين، بعضهم لم أكن حتى أعرفه.

لم يكن ناصيف أو تركي بانتظاري. سلّمتني الثلّة التي أحضرتني من الحدود عند بوابة عملاقة إلى ثلّة أخرى، ساقتني كخروف إلى داخل البناء، وارتقت بي الدرج إلى الطابق الأول، ثم انعطفت بي يسارا، وأدخلتني مكتبا.

"الموقوف سيدي." قال العنصر الذي أدخلني إلى الغرفة.

نظرت إلى الأرض، كانت تحت قدميّ سجّادة نظيفة فاخرة، فأدركت أنني في مكتب رجل مهم.

"أحضر له كرسيا." أمره صوت من الداخل، فترك العنصر ذراعي، وأحضر لي كرسيا معدنيا وضعه في منتصف الغرفة وأجلسني عليه.

"روح أنت!" جاء أمرٌ ثانٍ، بصوت بدا مختلفا عن الأول، فأدركت أن في الغرفة أكثر من شخص.

"شو اسمك؟" قال الصوت الثاني. أدركت أن السؤال موجّه لي، فأجبت بصوت مرتجف.

"وليد ل."

لم أكن أرى الرجل الواقف أمامي. بدأ عدد من أزواج الأحذية يدور حول كرسي لم أحدد عددها بالضبط. وأخذ العرق اللزج يتسلل من تحت الطميشة، يدخل العينين فيحرقهما.

"شو اسمك؟" كرّر الرجل بصوت أفهمني أنه لم يصدّقني.

"وليد ل." كرّرت، وأحسست باختناق في الحلق، فبدت الكلمات غريبة على مسمعي، وكأن الصوت لشخص آخر.

" ليك ولا." انفجر الرجل الأول بصوت كالرعد، "ما عنا وقت. أنت إخوان، ولا؟"

راعني سؤاله. وأحسست بالخوف والإهانة معا.

"لا!"

"لكن شو؟"

وصمتّ. كان من المعيب أن أجيب فورا على أول سؤال يطرحه محقق في فرع للأمن. فجأة انفتح الباب، ودخل زوج جديد من الأحذية، واقترب نحوي ويبدو أنه كان يتأملني عن كثب، ثم فرقعت ضحكة عالية في سماء الغرفة.

"العمى بعيونك. ولك شو جابك لعنا. والله ما بدنا إياك."

ثم خفتت الضحكة وسمعته يقدمني إلى رجل بدا أعلى منه رتبة:

"سيدي. هذا الرفيق وائل السواح."

ساد صمت غريب لوهلة، كأن الموجودين يحاولون أن يتذكروا الاسم. فتابع الوافد الجديد:

"عضو الهيئة المركزية برابطة العمل، سيدي."

ساد بين الجميع ما يشبه خيبة الأمل وفي الوقت عينه انفراج في التوتّر. سأعرف لاحقا أنهم كانوا يتوقّعون يومها دخول عدد من قيادات الإخوان بهويات مزوّرة، وحسبوا أنني واحد منهم. انقلبت الجلسة إلى حفلة تنكيت. وقال الرجل الأكثر أهمية بين الرجال في الغرفة:

"ولك ليش مسافر بهوية مزورة. سافر بهويتك، مين بدو إياك؟"

استخفّ بي طرب، فقلت: "إذا ما بدكن إياني خلوني روح." لم أعرف وقتها، ولا أعرف الآن أكانت تلك مشاركة في روح المرح التي سادت الغرفة، أم أنها تعلّة للنفس، ربما أدت إلى إخلاء سبيلي.

على أن المرح سرعان ما اختفى وبدأ الجد.

سأعرف فيما بعد أن الرجل الذي عرفني هو المقدّم – وقتها – كمال يوسف، أما الرجلان الأعلى رتبة منه فكانا رئيس الفرع العقيد مظهر فارس و – لا أحد آخر سوى – اللواء علي دوبا، رئيس شعبة المخابرات العسكرية. وسأعرف أن حسن الحظّ وحده أوقعني مع المخابرات العسكرية وليس مع مخابرات أمن الدولة. لا تعرف شعبة المخابرات العسكرية الكثير عني، فملفّي موجود لدى أمن الدولة، ومحمد ناصيف لا يشرك في مملكته أحدا. وقد يكون من حسن حظي أيضا أنني لم أعرف وقتها أن علي دوبا كان موجودا في الغرفة، لأن ذلك كان سيزيد فقط من رعبي.

كان علي دوبا أحد الأشخاص الذين كان مجرّد ذكر اسمه، إلى جانب رفعت الأسد، يثير رعبا بين السوريين. تسلّم رئاسة المخابرات العسكرية عام 1974، ومنذئذ بات أحد دعامات حكم حافظ الأسد. ستتاح لي رؤيته فيما بعد، كان وجهه وسيما أقرب إلى الدعة منه إلى الغلظة، أبيض البشرة، بعينين فاتحتين، تنبعث منهما أحيانا سخرية خفيفة. أما مظهر فارس فكان جزارا حقيقيا بكل ما في الكلمة من معنى. حين سيقرر دوبا بعد ساعة من الحوار تعذيبي، سيتولّى مظهر فارس نفسه دور الجلاد. كان لمظهر فارس هوايتان: التعذيب وزراعة الأزهار. حوّل حديقة فرع التحقيق العسكري إلى ما يشبه الجنّة، وكان يعاقب أي عسكري عنده يقطف زهرة أو يدوس عشبة، ثمّ جاء يوما بنسر حقيقي، زيّن به حديقته، وكان يطعمه بنفسه كلّ يوم. لا أعرف أسرة مظهر فارس، ولكن لن يفاجئني إن كان في بيته زوجا مثاليا، يحب زوجته ويدلّل أولاده.

أخذ التحقيق مسارا آخر. كان علي دوبا الآن يريد شيئا واحدا؛ رجلا واحدا: فاتح جاموس.

"نحن لا نريدك. في الحقيقة لا نريد أحدا. ألم نطلق سراح رفاقك السنة الماضية؟" قال لي بإغراء، وتابع: "أريد أن أجلس فقط مع فاتح جاموس ساعة واحدة، يخرج بعدها، وتخرج أنت، ولا تعود تحتاج إلى التخفي وحياة القرباط التي تعيشها."

صمتٌ.

"شو؟" سألني.

حاولت أن أحرف النقاش نحو السياسة. ليس سهلا أن تحاور في السياسة وأنت معصوب العينين، ولكنني حاولت أن أشرح له أن الرابطة غيّرت نهجها في تقرير آب، وأنها لم تعد تريد إسقاط النظام، بل إنها نقلت البندقية من كتف إلى كتف، وهي توجه سلاحها الآن ضدّ الإخوان المسلمين وإرهابهم.

"سيدي،" قال الرجل الآخر الذي سأعرف لاحقا أنه مظهر فارس، "هادا ما بيمشي معه اللطف."

تجاهله المعلّم، وعاد يحدثني:

"أي بندقية وأي إسقاط سلطة؟ أنتم تستطيعون إسقاطنا؟"

"أعني أننا جمّدنا شعار إسقاط النظام،" قلت.

فانتفض وسمعته ينهض عن كرسيه بعنف:

"ولك اللي خلقك ما بسقّطنا." صاح بي مقلقلا القاف بصوت مجلجل. ثمّ هدأ لحظة، واقترب مني وقال:

"ليك وائل. هلق أنا بترك الغرفة وبيجيك مساعد ما بيعرف ربّه." كان تهديدا واضحا، لا لبس فيه.

"بتجبلنا فاتح، بتنام الليلة ببيتك."

حسبت الوقت. ما بين التوقيف على الحدود ومسافة الطريق والزمن الذي مرّ ههنا، كانت قد مرّت ستّ ساعات على الأقل. كان العرف بين أعضاء لجنة العمل أن نمنح المعتقل ستّ ساعات عليه أن يصمد خلالها، ثمّ يحقّ له أن يعترف على بيته أو بيت المنظّمة. خلال هذه الساعات ينبغي على الرفاق إخلاء البيت من الأشخاص والوثائق ونقلها إلى مكان آخر لا يعرفه الرفيق المعتقل.

"يا ريت بعرف وينه."

"ولك أنت عضو بالقيادة ولا خْروق؟"

صمتُّ. فنهض غاضبا، وصاح بغضب: "اصطفل!" ثمّ سار إلى الباب خابطا الأرض بقدميه، راقبت حذاءه يمشي صوب الباب. سمعت الباب يفتح ثم يغلق، ولكن الحذاء لم يغادر الغرفة. وصاح بي صوت:

"بدك تعترف ولا لا يا حيوان؟"

وبدأت حفلة السمر.

بعد 6 سنوات ونصف على اختفائه.. "زمان الوصل" تميط اللثام عن مصير الابن الأكبر لـ"بعبع سوريا"



محمد دوبا تقدم حتى على أبناء عمومة الأسد وأقاربه في عزاء باسل - زمان الوصل

كشفت مصادر وثيقة الاطلاع لـ"زمان الوصل" عن لغز اختفاء الابن الأكبر لواحد من أقوى ضباط النظام وأشرسهم على مدار عقود، وهو الاختفاء الذي مضى عليه نحو 6 سنوات ونصف دون أن يفصح أحد عن حقيقته.

وقالت المصادر إن "محمد دوبا" الابن الأكبر لـ"العماد علي دوبا" محتجز لدى النظام نفسه وبأوامر من رأس هرم السلطة في سوريا، وذلك منذ حادثة "خطفه" الغامضة مطلع شهر أيار/مايو 2012 من وسط اللاذقية.

وأفادت المصادر بأن "علي دوبا" الذي كان في يوم من الأيام "بعبع سوريا" لشدة بطشه وتسلطه وصلاحياته شبه المطلقة.. لم يستطع طوال السنوات الماضية فعل شيء لإنهاء احتجاز ابنه لدى النظام الذي خدمه "علي دوبا"، وخدم حافظ الأسد تحديدا لمدة ناهزت 40 عاما.
ورأت المصادر أن احتجاز الابن الأكبر والذراع الأيمن لضابط بوزن علي دوبا، يكشف بوضوح عن طبيعة النظام الحاكم، الذي كلما ضاقت زاوية النظر إليه ظهر جوهره الحقيقي.

فعموم السوريين ينظرون إلى نظام الأسد بوصفه حكما باسم الطائفة ولمصلحتها، فإذا ضيقنا الإطار وقصرناه على العلويين فسنجدهم ينظرون إلى المسألة باعتبارها حكما باسم العائلة، والطائفة ليست

سوى واجهة وأداة، فإذا انتقلنا إلى إطار العائلة (عائلة الأسد) فسنجدهم يدركون حتما أن الأمر مرتبط بحكم أسرة محددة من العائلة الكبيرة، ونقصد بها أسرة حافظ الأسد وأولاده.

وقالت المصادر إن على من يستصعب تصديق اعتقال النظام لابن "علي دوبا " كل هذا السنوات، أن يتذكر أن بشار سبق أن اعتقل "محمد دوبا" حينما كان أبوه "علي" في قوته، وحينها أراد بشار بأوامر من حافظ أن يودع رسالة بسيطة وصغيرة جدا في صندوق "علي دوبا"، الذي كان ينتظر موت حافظ ليقتنص كرسيه.. فهذه ليست المرة الأولى التي يعتقل فيها نظام الأسد "محمد دوبا"، ولكنها بلا شك المرة الأطول والأعقد.

وبغض النظر عن قصة "محمد دوبا"، فإن تاريخ حكم الأسد حافل بحوادث تخص تصفية وتحجيم أناس، كان يُظن أنهم محصنون على مستوى الطائفة والنفوذ والخدمات وحتى الصلات العائلية، ثم صاروا نسيا منسيا، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر غازي كنعان.
أما صراعات وصدامات حافظ الأسد وأولاده مع "رفعت الأسد"، ومع صهر العائلة الأوحد "آصف شوكت"، فإن قصصها كثيرة ومتواترة، ولا تدع مجالا للشك أن السلطة المطلقة لاتقبل القسمة أبدا، ومن هنا فإن أي "شيء" يعترض سبيل هذه السلطة يُزال بلاد تردد أو تلكؤ، مهما كان حجم "الفراغ" الناجم عن هذه الإزالة، أو كانت عواقبها المنتظرة كبيرة.

وختمت المصادر قائلة إن "التزام" حافظ الأسد الصارم والحاسم، ومن بعد أولاده، بهذه القاعدة (السلطة لاتقبل القسمة أبدا)، شكل عاملا حاسما في احتفاظهم بالسلطة، وجعلها حكرا عليهم فقط طوال عقود، وقد أظهروا "براعة" فائقة في تنضيب أي مراكز للقوى وقطف أي رأس تحاول لمس "السقف العالي".

عندما يذكر السوريون اسم "علي دوبا" فإنهم يذكرون تاريخا من الرعب والتغول والفساد يفوق على أقل تقدير ربع قرن، هي المدة التي قضاها الرجل ملكا متوجا وأوحدا على رأس جهاز المخابرات العسكرية، بانيا خلالها إمبراطورية سوريالية من السلطة والمال، قلما داناه فيها أي مسؤول سوري.

والحقيقة أن رصيد "علي دوبا" الكبير لدى حافظ، لايعود كما يتخيل كثيرون إلى تعاونه مع الأخير في انقلاب "الحركة التصحيحة"، ولا إلى وقوفه في صف حافظ عندما تصارع مع أخيه "رفعت"، بل هو سابق على ذلك بسنوات، وراجع إلى مفصل حساس للغاية كان ولا زال لغزا عصي الحل، ونعني به زيارة حافظ الأسد إلى بريطانيا.

ففي أواسط عام 1965 قام حافظ الأسد (كان برتبة لواء وقائدا للقوى الجوية) بزيارة إلى بريطانيا ما تزال غامضة المعالم والأهداف، رغم كثرة ما كتب حولها، وقد تمت هذه الزيارة في وقت كان "علي دوبا" يشغل منصب الملحق العسكري في سفارة سوريا بلندن؛ ما يعني أن تنسيق هذه الزيارة تم بمعرفة "دوبا" شخصيا، وأنه كان مطلعا على تفاصيلها وأسرارها.. وعليه، لم يكن غريبا أن يصبح "دوبا" صاحب الحظوة الأوفر لدى حافظ، والمسؤول الاستثناء الذي يملك سلطة التواصل المباشر مع حافظ في أي وقت.

وقد لعب "علي دوبا" بكل أوراق الصلاحيات التي وُضعت بين يديه، وأطلق العنان لاحقا لأبنائه وأقاربه كي يضربوا بسيفه، ففعلوا كما يفعل مزارع بمزرعته، وكان كل ذلك بعلم حافظ وتحت نظره، ولكنه كان يتغاضى عنه لسببين، الأول: عظم الخدمات التي قدمها له "دوبا" والأسرار التي يكتمها، والثاني وهو السبب الرئيس: أن صعود "دوبا" لم يكن يشكل خطرا على موقع حافظ في

الدولة، ولا داخل الطائفة، ولكن حينما دنت ساعة الرحيل وأيقن حافظ أنه سيصبح "موروثا" ولابد له من "وريث" وهذا الوريث ليس على مستوى "قوة" أبيه، كانت أهم وأخطر خطوة له هي إزاحة "علي دوبا".

وبالفعل تمت تنحية "علي دوبا" وإحالته إلى التقاعد، في وقت كان الجميع يعتقدون أنه عصي على الإزاحة، بسبب موقعه في الطائفة وفي هرم السلطة، وفي وقت تم فيه الاحتفاظ بمسؤولين كبار للغاية من خارج الطائفة، مثل: مصطفى طلاس، عبدالحليم خدام؛ ليتضح للسوريين وبلسان الحال القاطع من هو حقا المسؤول الجامح، وصاحب السلطة الحقيقية، ومن هو المسؤول الطيع المطيع الذي يكتفي من فتات منصبه بالدور المرسوم له.

تقاطعت مسيرة "حافظ الأسد" و"علي دوبا" في أماكن ومراحل كثيرة سلطويا، وحتى أسريا، فولداهما الأكبران (باسل ومحمد) من نفس العمر تقريبا، ولا يفصل بين ميلادهما سوى سنة واحدة، وكلاهما (باسل ومحمد) نشآ في كنف والدين يملكان فائضا هائلا من السلطة والأحلام بدوام السلطة، لايمكن لحياة قصيرة –مهما طالت- أن تستوعبه، وعليه فلا مناص من "الوريث"، ولن يكون هناك أنسب من الابن الأكبر للعب هذا الدور.

وعلى هذا الأساس كبر باسل ومحمد، وترافقا، وتشبعا شهوة السلطة كما يتشبع بشهوة الفتك ذئب صغير وهو يرى نشوة والده بالصيد ونهش لحم الضحية، وصار باسل ومحمد قرينان إلى أن لقي الأول مصرعه في حادث سير مطلع 1994.

وإذ ذاك لم يكن غريبا، أن يكون "محمد دوبا" في صف واحد مع بشار وماهر الأسد في تقبل التعازي بوفاة باسل، متقدما –أي محمد دوبا- حتى على أولاد عمومة المتوفى وأقاربه.

ولكن تمهيد الطريق لتوريث بشار كان يستدعي قصقصة جوانح "علي دوبا"، ووضع حد لأسطورته التي جعلته ندا لحافظ الأسد، بل وأحيانا متفوقا عليه، لاسيما أن قلة قليلة فقط من يعرفون وجهه، ويكتفون بسماع صيته واسمه تاركين لمخيلاتهم رسم صور وهيئات شتى، تجتمع فيها كل صفات الجبروت والقسوة.

وكان من لوازم إزاحة "دوبا" فتح ملفاته وملفات ابنه القديمة، وتقديم كشف حساب واف بمختلف أنواع التجاوزات وإساءة استخدام السلطة، والتي كانت تجري بعلم ورضا حافظ الأسد وأولاده ردحا طويلا من الزمن، ولكنها فتحت على أعتاب توريث بشار، وكأنها حدثت بالأمس أو قبله، ولم يكن لـ"القيادة" علم بها!

ومن هنا لم يتأخر بشار وهو يزيح "علي دوبا" من طريقه في إصدار أوامره باعتقال "محمد دوبا" وزجه في سجن المزة العسكري بذريعة محاربة فساده العريض، وتورطه في تهريب وترويج الممنوعات، وفي مقدمتها المخدرات.

وقد كانت إزاحته شخصيا واعتقال ابنه الأكبر بمثابة صفعة قوية ومزدوجة على وجه "علي دوبا" أعادت له صوابه، وذكرته بحدوده التي لا يمكن أن يتخطاها، فانزوى الرجل في قصره بـ"قرفيص" في ريف جبلة، ليعيش خريف السلطة والعمر معا (عمره الآن 85)، ويعيش فوقها همّ

عجزه عن تخليص ابنه الأكبر من سجون كان يوما يديرها ويتحكم بمصائر نزلائها.. وعجزه عن انتزاعه براثن شخص كان يناديه يوما ما "عمو"!

المصادر

https://mufakerhur.org/%D9%85%D8%A7-%D9%84%D8%A7-%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%81%D9%88%D9%86%D9%80%D9%80%D9%80%D9%80%D9%87-%D8%B9%D9%86-%D8%A2%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D9%80%D9%80%D9%80%D8/%AF-11%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%85%D9%80

https://mufakerhur.org/%d9%85%d8%b9-%d8%b8%d9%87%d9%88%d8%b1-%d8%a3%d8%ad%d8%af%d8%ab-%d8%b5%d9%88%d8%b1%d8%a9-%d9%84%d9%84%d9%85%d8%ac%d8%b1%d9%85-%d8%a7%d9%84%d8%b7%d8%a7%d8%a6%d9%81%d9%8a-/%d8%a7%d9%84%d8%b3%d9%81%d8%a7

https://rassd.com/162641.htm

https://www.syria.tv/%D9%8A%D9%88%D9%85-%D8%AD%D9%82%D9%91%D9%82-%D9%85%D8%B9%D9%8A-%D8%B9%D9%84%D9%8A-%D8%AF%D9%88%D8%A8%D8%A7

/https://www.zamanalwsl.net/news/article/95428